خطبة بعنوان

[(دروس وعبر من غزوة أحد)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }[سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) }[سورة الأحزاب : 70 إلى 71]

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ،وأن خير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

ففي هذا اليوم نذكر أنفسنا وإياكم بمشهد من مشاهد التاريخ الذي ابتلى الله به أهل الإسلام وما فيه من الدروس والعبر والحكم العظيمة التي انتفع منها المسلمون،وهي غزوة أحد.

أيها المسلمون:

إنه لا يخفى عليكم ما حصل للنبي صلى الله وعليه وسلم وأصحابه في غزوة أحد حيث انتصر المسلمون في أول المعركة ثم هُزموا في آخرها لحكم يعلمها الله تعالى سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله تعالى.

ثم ندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لملاقاة المشركين مرة أخرى في اليوم الثاني من يوم أحد،فرد الله للمسلمين عزهم وهيبتهم وأمنهم بعدما أصابهم الهم والحزن والخوف، كما سيأتي بيان ذلك في آخر الخطبة إن شاء الله.

إن هذه الغزوة كانت في السنة الثالثة من الهجرة في شهر شوال بعد غزوة بدر بسنة،وكان سببها انهزام المشركين وانتكاستهم،وقتل الكثير من صناديدهم في غزوة بدر الكبرى،حيث خرج النبي صلى الله عليه وسلم لاعتراض قافلة قريش بصحبة أبي سفيان وكان مشركا آنذاك فنجى بالقافلة،ثم تجهز جيش المشركين للانتقام من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه،فالتقوا في مكان يسمى بدرًا ،ثم اعترك الجيشان وكان النصر حليف المسلمين، فقُتل سبعون من كفار قريش،وفيهم عظماؤهم، وأُسِر سبعون فرجعوا خائبين،فعمد المشركون يتجمعون ويتحزبون للانتقام من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه،فجمع أبو سفيان ثلاثة آلاف مقاتل وجعل تلك القافلة من الأموال والتجارات لتجهيز تلك المعركة للانتقام من المسلمين، وخرجوا بنسائهم لئلا يفروا،فنزلوا نحو المدينة قريب جبل أحد،فلما بلغ خبرُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم،استشار بعض أصحابه ممن فاتهم الخروج إلى بدر،أيخرج إليهم أم يمكث في المدينة؟ فأشاروا عليه بالخروج،بينما أشار عليه المنافق عبدالله بن سلول بالبقاء في المدينة فدخل منزلته ولبس لامة الحرب،فأشار عليه بعض الصحابة إن شاء أن يقيم في المدينة بقي،فقال:لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لَأْمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ.

وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: **{ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121) إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122) }**[سورة آل عمران : 121 إلى 122]

والطائفتان اللتان همتا بالفشل وهو الفرار والتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد هما بنو حارثة وبنو سلمة ولكن الله ثبتهما بإيمانهما وتولى أمرهماكما قال تعالى:**{وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }**

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم بألف من أصحابه فرجع عبدالله بن أبي بن سلول -لعنه الله- بثلث الجيش،قال الله: **{ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (168) }**[سورة آل عمران : 167 إلى 168]

واختلف الصحابة رضوان الله عليهم في المنافقين الذين رجعوا فقال بعضهم نقتلهم لأنهم منافقون وقال بعضهم نتركهم لأنهم تكلموا بالإسلام فأنزل الله فيهم: { ۞ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا }**[سورة النساء : 88]

وهكذا المنافقون في كل زمان ومكان فإنهم سب كل بلية ورزية،هم سبب كل نكسة أو هزيمة تحصل على المسلمين،فإنهم أخطر من اليهود والنصارى ؛لأنهم ينخرون الإسلام من الخلف فينبغي على المسلمين أن يحذروهم وألا يتخذوا منهم بطانة ولا وزراء ولا أعوان فليس فيهم خير؛ لأنهم يعملون لصالح الكفار ويضرون المسلمين.

فلما وصل النبي صلى الله عليه وسلم أُحُدًا تهيأ للقتال وكان معه خمسون فارسا،ووضع خمسين من الرماة على جبل أحد وأمَّر عليهم عبدالله بن جبير رضي الله عنه، ونهاهم أن ينزلوا من الجبل حتى يرسل إليهم،لكنهم لما رأوا النصر للمسلمين، ورأوا الكفار هاربين نسوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وخالفوه ظانين أن المعركة قد انتهت بنصر المسلمين،فنزلوا من الجبل فالتف المشركون من خلف الجبل فكروا على المسلمين وقتلوا منهم سبعين رجلا من خيار الصحابة على رأسهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه وكاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل لولا أن الله سلمه

وحماه ببعض أصحابه،فهشمت البيضة على رأسه، وشُج وجهُه وكُسرت رباعيتُه عليه الصلاة والسلام،فقد روى مسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ : **" مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ "** أَوْ : **" هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ "** فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ : **" مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ "** أَوْ : **" هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ "** فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ : **" مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابُنَا "**. يعني الذين فروا من القتال من أصحابه.

وجالدهم طلحة رضي الله عنه حتى أجهضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم،فقد روى النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،رضي الله عنهما،قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَوَلَّى النَّاسُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاحِيَةٍ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَأَدْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : **" مَنْ لِلْقَوْمِ "** ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" كَمَا أَنْتَ "**. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ : **" أَنْتَ "**. فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ الْتَفَتَ، فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ : **" مَنْ لِلْقَوْمِ "** ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا. قَالَ : **" كَمَا أَنْتَ "**. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا. فَقَالَ : **" أَنْتَ "**. فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" مَنْ لِلْقَوْمِ "** ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا. فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ، فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ : حَسِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" لَوْ قُلْتَ : بِاسْمِ اللَّهِ. لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ "**. ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لطلحة في أول الأمر "كماأنت" أي: كن على الحال التي أنت عليها واثبت عليها ولا تقاتلهم.

فلا إله إلا الله! أيش حصل للنبي صلى الله عليه وسلم من الابتلاءات والتمحيصات،وأيش مرت بهم من ظروف فثبتوا وصبروا،ابتلاهم الله بالجوع والفقر والأعداء وهم صابرون محتسبون،نصرالله بهم رسوله،

وأعلى بهم كلمته،وبلغ الله بهم دينه،ثم يأتي من ينتسب إلى الإسلام من يقدح فيهم ويطعن، ويكفرهم ويلعن،فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ::::إذا جمعتنا يا جرير المجامع

{رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا }[سورة الأحزاب : 23]

جاهدوا في سبيل الله من أجل دين الله،ودافعوا عن رسول صلى الله عليه وسلم بأموالهم وأرواحهم ودمائهم،ومن الناس اليوم من يجبن عن الدفاع عن سنته بل يوجد من يحارب السنة وأهلها،ويتغافل أنها جاءت عن رسول الله،فمن أراد أن ينصر رسول الله بعد موته فلينصر السنة فإن صاحبها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وهو الذي جاء بها،فمن حارب السنة فإنما يحارب ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم،فليُنْتَبَه لهذا.

أما ما حصل في غزوة أحد من بعض الصحابة رضوان الله عليهم حينما نزلوا من الجبل ثم كر المشركون على المسلمين وشدوا عليهم وفر مَن فر منهم، فرجع بعضهم إلى المدينة ، ومنهم من صعد إلى الجبل، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم:إليَّ عباد الله،إليَّ عباد الله،فقد عفا الله عنهم ولا مجال للقدح فيهم،قال تعالى: **{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ }**[سورة آل عمران : 155]

وقد أثابهم الله غمًا بغمٍ حينها،وذلك أنه فاتهم النصر، وفاتتهم الغنيمة،بل أعظم من من هذا وذاك أنهم سمعوا قول من يقول إن نبيكم قد قُتل، قال الله: **{ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }**[سورة آل عمران : 153]

وكل هذا بسبب مخالفة الرماة رضي الله عنهم لأمر النبي صلى الله عليهم وسلم، وقد كان نهاهم أن ينزلوا من الجبل حتى يأذن لهم،فنزلوا من الجبل فتحول النصر إلى هزيمة،، قال الله في شأنهم:**{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا**

أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }[سورة آل عمران : 152]

وروى البخاري عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ : **" لَا تَبْرَحُوا ؛ إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا "**. فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ : الْغَنِيمَةَ، الْغَنِيمَةَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا، وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : **" لَا تُجِيبُوهُ "**. فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ قَالَ : **" لَا تُجِيبُوهُ "**. فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ فَقَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا. فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أُعْلُ هُبَلْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" أَجِيبُوهُ "**. قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : **" قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ "**. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنَا الْعُزَّى، وَلَا عُزَّى لَكُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" أَجِيبُوهُ "**. قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : **" قُولُوا : اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ "**. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ وَتَجِدُونَ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا، وَلَمْ تَسُؤْنِي.

فأصاب الصحابة رضوان الله عليهم من الهم والحزن ما الله به عليم،وتعجبوا من هذا الأمر، كيف تحول النصر إلى هزيمة؟! فرد الله عليهم مبينا لهم سبب ذلك،ومسليا لهم أن الأيام دول بين الناس،وأنهم قد انتصروا في غزوة بدر وقتلوا سبعين من كبارهم وأسروا سبعين آخرين،وأن العزة والغلبة مستقبلا ستكون لهم،قال سبحانه: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }[سورة آل عمران : 152]

وقال تعالى: { وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ }[سورة آل عمران : 166]

ولنا في هذه الغزوة عظات وعبر،نستفيدها في حياتنا وفي حروبنا. منها: أن المعاصي سبب للانهزام والذل والانتكاسة، فهذه معصية واحدة أذلت المسلمين وسببت لهم الهزيمة في غزوة أحد،فكيف بالمعاصي هذه الأيام من الشرك والسحروالخرافات، والقتل والزنا والربا والرشا واللواط وشرب الخمور وترك الصلوات،وسماع الأغاني، وفعل البدع والمحدثات وغيرها مما لا يسع المقام لذكرها،فإن معصية واحدة مما تقدم ذكرها كفيلة بأن تكون سببا لانهزام المسلمين أمام أعدائهم من اليهود والنصارى وغيرهم ،فالواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى ربهم،وأن يراجعوا دينهم،فيمتثلوا الأوامر ويتجنبوا النواهي والزواجر،فإن عزهم منوط بالتمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة،وأن الذل والصغار بسبب المعاصي ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهورهم.

وكان من لطف الله بالمؤمنين بعد غزوة أحد أن أرسل عليهم النعاس ليربط على قلوبهم ويزدادون طمأنينة وثباتا ويذهب عنهم الخوف كما حصل لأصحاب بدر،حتى كان يسقط السيف من يد أحدهم ويرفعه مرارا،بينما الذين في قلوبهم مرض وشك من المنافقين خائفون مشغولون بأنفسهم مسيئون الظن بالله أنه لن يتم دينه ولن يعلي كلمته ولن ينصر رسوله ،وأن أمره سيضمحل وينتهي الإسلام وأهله،كما هو شأن المنافقين والزنادقة المرجفين في هذا الزمان،قال تعالى:{ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155) }[سورة آل عمران : 154 إلى 155]

وقال في شأن أهل بدر:{ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ }[سورة الأنفال : 11]

ثم سلى الله نبيه ومن معه من المؤمنين بأن العاقبة الحميدة لهم وأن النصر حليفهم،وأنه لابد من الابتلاءات والتمحيصات ليتبين الصادق من الكاذب،والمؤمن من المنافق، ومذكرا لهم ببعض الحِكم التي ترتبت على هذه الهزيمة:قال سبحانه: { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (139) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) }[سورة آل عمران : 139 إلى 142]

فمن هذه الحكم التي تربت على هزيمة المسلمين في غزوة أحد:

منها:أن الله ابتلى عباده وأولياءه ليتبين الصادق من الكاذب والثابت من المذبذب،والصابر من الجازع.

ومنها: أن النصر له أسباب وهي الطاعات،والانهزام له أسباب وهي المعاصي.

ومنها: أن الله اصطفى منهم شهداء ليكرمهم في دار كرامته.

ومنها: أنه يكفر ذنوب المؤمنين،ويمحق الكافرين فيملي لهم ليزدادوا أشرا وبطرا، ويستدرجهم ليأخذهم ويهلكهم.

ومنها: أن الجنة محفوفة بالمكاره والابتلاءات والمصائب، لا تنال إلا بذلك، { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }[سورة البقرة : 214]

وقال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ }[سورة آل عمران : 142]

ومن الحكم يا عباد الله: أن القتل لو كان مستمرا للمؤمنين وحليفا لهم لدخل في الإسلام من ليس منه كحال المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفرخوفا من السيف.

ومنها:ترويض المؤمنين على تحمل المشاق والمتاعب والبلايا والاستعداد لتحمل أعباء الحياة لحمل هذا الدين ومواجهة الأعداء.

وهناك حكم كثيرة ذكرنا الذي ظهر لنا منها.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله عز وجل:**{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ }**أي : يكفِّر عنهم من ذنوبهم ، إن كان لهم ذنوب وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به ، وقوله : **(ويمحق الكافرين)** أي : فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم" .

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد:

فقد عرفنا ما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم في غزوة أحد،وعرفنا بعض الحكم والأسرار من إدالة الكفار على المسلمين،واستفدنا كثيرا من الدروس والعبر التي يستفيدها المسلمون في حياتهم وفي حربهم مع الكفار،ولنستفد الآن فوائد أخرى من حال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته بعد غزوة أحد،منها:الشجاعة والإقدام وعدم الاستسلام،والثقة بالله والتوكل عليه في نصر الإسلام،وعدم الخوف من عباد الأصنام،فإن المسلمين تبعوا المشركين بعد غزوة أحد حتى أرعبوهم، فبينما هم كذلك قد أثخنتهم الجراحة والقتل جاءهم الخبر أن قريشا همت بالرجوع إلى المدينة لاستئصال المسلمين،فقال المسلمون :حسبنا الله ونعم الوكيل،توكلنا على الله فنعم المولى ونعم النصير،كما روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ،رضي الله عنهماقال: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: **{ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }.**

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون للقتال فانتدبوا وخرجوا حتى وصلوا حمراء الأسد وهي على بعد ثمانية أميال من المدينة فخاف المشركون فلم يرجعوا فرجع المسلمون منصورين في هذه الغزوة التي تسمى بغزوة حمراء الأسد،قال ابن كثير:" وقوله : **(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح)** هذا كان يوم " حمراء الأسد " ، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم تندموا لِمَ لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجلدا ، ..- فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله [عز وجل] ولرسوله صلى الله عليه وسلم "ا.ه

قال الله في شأنهم: **{ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) }**[سورة آل عمران : 172 إلى 174]

فرجع المسلمون منصورين بنعمة من الله وفضل بغير قتال، وكتب لهم أجر غزوة تامة بجوده وإحسانه ،وقذف الله الرعب في صدور المشركين فجبنوا عن المواجهة مرة أخرى خوفا من أن تدور الدائرة عليهم،ولو رجعوا لأهانهم الله وأذلهم ،لأن المؤمنين خرجوا متوكلين على الله واثقين بنصره،غير مبالين بضعفهم وقلة عددهم؛لأن النصر من الله العزيز الحكيم ،ولم يتأثروا بما أصابهم في غزوة أحد،وقد عدَّ بعض أهل العلم غزوة حمراء الأسد جزءًا من غزوة أحد، وعلى هذا فإن الغزوة انتهت بنصر المؤمنين للأسباب التالية: قال صاحب بعض أهل العلم: "ومما لا شك فيه أن غزوة حمراء الأسد ليست بغزوة مستقلة، إنما هي جزء من غزوة أحد وتتمة لها، فهل كانت هزيمة أم نصرا؟ والذي لا شك فيه أن التفوق العسكري في الصفحة الثانية من القتال كان للمشركين، وأن المؤمنين هزموا قطعا، لكنَّ هناك أمورا تمنعنا أن نعبر عن كل ذلك بالنصر والفتح للجيش المكي، فمما لا شك فيه أن الجيش المكي لم يستطع احتلال معسكر المسلمين، وأن المقدار الكبير من الجيش المدني لم يلتجىء إلى الفرار بل قاوم بالبسالة حتى تجمع حول مقر قيادته، ولم يسقط إلى حد أن يطارده الجيش المكي، ولم يقع أحد من المسلمين

في أسر الكفار، وأن الكفار لم يحصلوا على شيء من غنائم المسلمين، وأن الكفار لم يقوموا إلى الصفحة الثالثة من القتال مع أن جيش المسلمين لم يزل في معسكره، وأنهم لم يقيموا بساحة القتال يوما أو يومين أو ثلاثة أيام بل سارعوا إلى الانسحاب وتركوا ساحة القتال، قبل أن يتركها المسلمون، ولم يجترئوا على الدخول في المدينة لنهب الذراري والأموال، مع أنها قريبة على بعد عدة خطوات فحسب، وكانت مفتوحة وخالية تماما. كل ذلك يؤكد لنا أنهم باءوا بالفشل فيما كانوا يهدفون إليه من إبادة الجيش الإسلامي،وإن حصل شيء من القتل في المسلمين،فإنهم لم يتضرروا بذلك ولم يضعفوا،أما أن ذلك كان نصرا وفتحا فكلا وحاشا، بل يؤكد لنا تعجيل أبي سفيان في الانسحاب والانصراف؛ أنه كان يخاف على جيشه المعرة والهزيمة لو جرت صفحة ثالثة من القتال، ويزداد ذلك تأكيدا حين ننظر إلى موقف أبي سفيان من غزوة حمراء الأسد،حيث جبنوا عن المواجهة والقتال.

إذن فهذه الغزوة إنما كانت حربا غير منفصلة، أخذ كل فريق بقسطه ونصيبه من النجاح والخسارة، ثم حاد كل منهما عن القتال، من غير فرار، وإلى هذا يشير قوله تعالى:**{ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون }**(4: 104) فقد شبه أحد العسكرين بالآخر في إيقاع الألم، مما يفيد أن الموقفين كانا متماثلين، وأن الفريقين رجعا وكل غير غالب"انتهى مختصرا([1])

وهذا الكلام وجيه جدا، فإن هذه الغزوة أعادت للمسلمين هيبتهم،ورفعت معنوياتهم بتوفيق الله ربهم،بعد أن كانت قد اهتزت سمعتهم في غزوة أحد،وقد كانت القبائل رضخت للدولة الإسلامية بعد وقعت بدر التي هُزمت فيها أكبر القبائل العربية وهي قريش أمام معسكر الإسلام،ثم حصل للمسلمين ما حصل في أحد ،ثم رد الله الهيبة للإسلام والمسلمين في غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أحد بيوم واحد، وإنما حصل للمسلمين انهزام في معركة أحد لحكم عظيمة ذكرنا بعضها ،أهمها مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم،الأمر الذي جعل القبائل العربية التي حول المدينة تتربص بالمسلمين الدوائربسبب ما حصل للمسلمين من قتل وجراحة وفرار،فمن حكمت الله عزوجل أن المشركين طلبوا النزال مرة أخرى زعموا أنهم

[1] - انظر الرحيق المختوم والمصادر التي ذكرها صاحب الرحيق زاد المعاد وسيرة ابن هشام.

سيرجعون ليستأصلوا النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين،فقام النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني من غزوة أحد يحث أصحابه على الجهاد مرة أخرى وهم مثخنون بالجراحة والحزن على قتلاهم، ورفع من معنوياتهم وذكرهم بفضل الجهاد في سبيل الله، فقاموا مستجيبين لله ورسوله،محتسبين الأجر والمثوبة، ولم يصطحب النبي صلى الله عليه وسلم معه إلا من شارك في غزوة أحد ولم يقبل أحدا ممن فر أو تخلف ،فوصلت جنود الله مكانا يسمى حمراء الأسد،وقذف الله الرعب في قلوب المشركين فرجعوا إلى مكة، وجبنوا عن القتال مرة أخرى خوفا من الهزيمة ولو رجعوا ما قامت لهم قائمة بإذن الله تعالى،ورجع المسلمون منصورين رافعي رؤوسهم وأخزى الله المنافقين الذين ظنوا بالله ظن السوء ،وأنزل الله في أولئك الأبطال،**{ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) }**[سورة آل عمران : 172 إلى 174]

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعيد للمسلمين عزهم ومجدهم،وأن يصلح أحوالهم،وأن يوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم،وأن يخذل عدوهم ويوهن كيدهم،اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين،اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين،اللهم عليك باليهود والنصارى،اللهم عليك باليهود والنصارى،اللهم عليك باليهود والنصارى،اللهم عليك بهم ومن تعاون معهم ياقوي يامتين